

دلائله

كتب أول هذه السطور ليلة سقوط حي بابا عمرو بيد عصابات نظام الأسد المجرم وبعدها أقدموا عليه من فظاعات يندى لها جبين الإنسانية.. لكن الكلمات حشرجت فلم تكتمل، وشُلّ الفلم فلم يعد يستطيع أن يجري، ولم أملك تلك الليلة إلا دموعاً سكبتها وليلة أرقتها ودعوات اختنقت فيها الكلمات رفعتها في جوف الليل إلى الله الواحد القهار المنتقم الجبار، أن ينتصر لعباده المظلومين ويشف صدور قوم مؤمنين.

رب وأمعتصماه انطلقت *** ملء أقواف الصبايا اليتيم
لامست أسماعهم لكنها *** لم تلامس نخوة المعتصم

دفع الشعب السوري - وما يزال يدفع - ثمناً غالياً لحريته التي يطلبها، للخلاص من عصابة المجرمين التي استعبدته قرابة نصف قرن، استباحت فيها كل شيء، ولم ترقب في هذه الأمة إلا ولا ذمة. لقد استباحوا كل الحرمات كما لم يستبحها عدو من قبل فكانوا العدو الأكثر عدواً وإجراماً، وفاقوا اليهود في عدوانهم وإجرامهم بمراحل، في مشاهد غابت عن البشرية منذ زمن طويل، فسألت دماء الرجال والنساء والعجائز والأطفال، وعذب الناس في وحشية عصية على الوصف، وهنكت الأعراض بشكل منهجي ووحشي، وهو المشهد الأكثر إيلاماً، ومع ذلك لا يزال العالم يشاهده مع غيره من المشاهد الأليمة بكثير من اللامبالاة وعدم الاكتتراث.

بعد أربعة أسابيع متصلة من القصف الهمجي الوحشي بالمدافع والصواريخ، ليس على الجبهة مع العدو الصهيوني، ولا ضد قوات عسكرية غازية، بل على أحياء حمص القديمة المكتظة بسكانها، وقد انهارت عمارات على ساكنيها فدُفِنوا تحت الأنقاض، وقتل وجُرحآلاف من الرجال والنساء والعجائز والأطفال، اليافعين منهم والرُّضع.. بعد أربعة أسابيع من الاستغاثات والنداءات واستصرخ أهل الإسلام وأهل العروبة وأهل الإنسانية، استغاثات الناس الذين عاشوا تحت النار والحاصر أسبابع متواصلة واكتووا بنار عصابات الأسد، وكانوا يعلمون ما تُعدّ لهم هذه العصابات، ويعرفون ما ينتظرون عندما يقتحم المجرمون أحياهم ودورهم، واستغاثات (هاري العبد الله) الذي بُعْض صوته وهو يستغيث من قلب حمص على

جميع الفضائيات ويحذّر مما سيحدث.. كانوا يستغيثون ويقولون لنا أنهم يعرفون جيداً هؤلاء المجرمين، وأنهم سيفعلون بهم ثانيةً ما فعلوه في حماة الشهيدة قبل ثلاثين عاماً.. بعد كل ذلك لم تلقي أي من هذه الصرخات نخوة المعتصم، وخذلناهم اليوم كما خذلنا حماة بالأمس، وتركناهم يذبحون ونحن نتفرّج على شاشات الفضائيات مسترخيين على الأرائك. كنا نظن أن حماة قُتلت في عصر الغيبة الإعلامية ولن يُقتل مثلها ثانية في عصر الثورة الإعلامية، فإذا بالحكاية تتكرّر، ليس في غيبة من العالم بل أمام أعين الناس والعالم هذه المرة. قال إخواننا الأتراك أنهم لن يسمحوا بحماية ثانية، لكن حماة ثانية حدثت وكان اسمها حمص هذه المرة، ولم يفعل أحد شيئاً إلا الكلام، ولأن المجرمين يعلمون أنه لن يحدث إلا الكلام هم ماضون في طريقهم لا يأبهون لأحد.

اقتحمت عصابة الأسد قلعة بابا عمرو الصامدة، بعد ملحمة صمود بطولي عظيم لأربعة أسابيع، وصبت إجرامها على الضعفاء الذين **خلّفوا**، واستباحت الدماء والنساء وهتك الأعراض، وعملت على إذلال الناس وإلقاء الرعب في قلوبهم بكل الوسائل. أحرقوا عائلات كاملة وهم أحياء ولم يتركوه إلا جثثاً متفحمة. ذبحوا عائلات بأكملها ذبحاً بالسكاكين، ذبحوا الناس أمام بعضهم حتى الأطفال منهم، ونحن نترافق بالخراف فلا نذبح واحداً أمام الآخر، وخلفوا وراءهم بيوتاً مليئة بجثث المذبوحين، ورأينا صفاً من الأطفال المذبوحين وقد بال أحدهم على سرواله ليترك لنا الصورة التي لم نشهد لها لتروي لنا ما حدث؛ صورة الطفل الذي ملأه الرعب وهو يرى أخيه يذبح أمام عينيه وينظر إلى السكين برعه وهي في طريقها إلى عنقه قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة. ترك لنا البريء الصغير الصورة الكبيرة لما حدث مطبوعة على سرواله الصغير، لكنها أيضاً لم تلقي نخوة المعتصم. جمعوا الفتيات في الساحات العامة وعروهن من ثيابهن واغتصبواهن علينا. ورأينا في شريط يدمي القلب جنود جيش الأسد يسوقون فتاة شابة إلى شاحنة مغلقة ثم يخلع أحدهم حزامه العسكري يتناوله لرفيقه ويتبعها إلى الشاحنة بينما يتقدّم بقية الجنود على الباب ليتناوّلوا على الفتاة واحداً بعد آخر، والذي يصور الشريط من سطح عمارة مطلة يختنق صوته بالبكاء وهو يصوّر، ولا أظنه ينسى هذه اللحظات أبداً. ووضعوا النساء بعد تكسيفهن على الدبابات دروعاً بشريّة يحتمون بها من ضربات الجيش الحر. وعلّموا أبواب البيوت التي لم يبق فيها إلا النساء في الأحياء التي اقتحموها لتكون مكاناً لتسليمة الجنود في الأيام اللاحقة. وأخذت مجموعات من الفتيات إلى مصير مجهول، لكن كل ذلك لم يلاق نخوة المعتصم.

كنا نظن أن الأمة لا يمكن أن تسكت وأن العالم لن يسكت على شيء من هذا. ظلّنا أن الأمة ستنزل كلها إلى الشوارع عند نبّح أول طفل وعند اغتصاب أول امرأة، وأن العالم سيتخذ إجراءات صارمة، لكن شيئاً من ذلك لم يحدث.

لو استجابت الأمة لاستغاثات الناس في حمص ومدّتهم بالعون، ربما كان هذا سينقذ الناس الذين **ذبحوا والأعراض التي انتهكت**. لقد بقي مقاتلو الجيش الحرّ البواسل يدافعون عن حي بابا عمرو ببسالة وشجاعة نادرة حتى آخر طلقة معهم، ويستصرخونا أن نمدّهم بالمال والسلاح ليقاتلوا حتى آخر رجل منهم، لكن أحداً لم يمدّهم. كيف نشعر عندما نعلم أن دراهم لو كنا اقتطعناها من رفاهيتنا كانت ستتحمي تلك الفتيات وأولئك الأطفال وتدفع عنهم شيئاً مما أصابهم. لو أنفقنا هذه الدراهم في سبيل الله لحمت أعراض بناتنا وأنقذت حياة أطفالنا.

ماذا أصاب هذه الأمة وماذا أصاب الناس أجمعين؟ كيف يمكن أن يحدث كلّ هذا والناس منصرفون إلى شؤون حياتهم والعالم ما زال يمارس النفاق السياسي ولا يفعل شيئاً؟ أين هم المسلمين وماذا كانوا فاعلين لو أن الكعبة هُدمت في بيت الله الحرام؟ ما يجري على أرض سوريا أكبر كثيراً من هدم الكعبة. إذا كان إزهاق نفس بريئة أعظم عند الله من هدم الكعبة فكيف بكل هذه الدماء التي سالت والأشلاء التي مُزقت والأنفس التي عذّبت والأعراض التي انتهكت؟ أليس كل ذلك أعظم من هدم الكعبة؟ كيف يهنا لنا عيش ونحن نرى ونسمع ولا نحرك ساكناً.

كتبت في أيام الثورة الأولى أقول أننا سنحاكم المجرمين وسننتقم منهم في ساحة المرجة، وسنجلد ظهور المنافقين الذين أيدوا

هذا النظام المجرم على سور الجامع الأموي عندما تنتصر هذه الثورة المباركة. لكن بعد كلّ هذا الإجرام لم يعد الجلد عقوبة كافية لهؤلاء، وعلى رأسهم شيخ السوء البوطي وأخوه المنافق الحسون، صار هؤلاء المنافقون ومعهم كلّ من يؤيد القتلة شركاء في القتل، شركاء في قتل الناس وتعذيب الأطفال واغتصاب النساء، شركاء في الجريمة يستحقون المحاكمة والعقاب إلى جانب القتلة الذين أيدوهم. أما الصامتون الذين كانوا يوماً مطالبون بالصمت فقط إن لم يقدروا على قول كلمة الحق، فلم يعد الصمت يُجزئهم ولا يُبرئ ذمّتهم عند الله، وصاروا يستحقون أن تُجلد ظهورهم على سور الجامع الأموي بعد انتصار الثورة المباركة – بإذن الله –.

أما المجرمون الذين قتّلوا وذبحوا وحرقوا واغتصبوا فلن ينجوا من العقاب. ليجتهد الضحايا والشهدود في التعرّف على أسمائهم وحفظ وجوههم. لقد اقترب يوم القصاص.

وليس الذين انتهكوا الأعراض وحدهم المجرمون، بل أيضاً الجاهليون الذين عاقبوا بناهم المصابات بدلاً من أن يمسحوا جراحهن ويواسوهم في مصابهن. وأريد أن أقولها بملء في: أيّما رجل من هذه الأمة يظن أن هذه النسوة قد فقدن شرفهن فهو فاقد للشرف ولا يعرف معنى الشرف، فاللاتي ضحين وأوذين في معركة الحرية هن عنوان للشرف والتضحية والجهاد. وإذا كان الشباب في زمان السلم يطلبون ذات الجمال والمال والحسب والنسب، ففي زمان الجهاد والبذل والتضحية سيتسابق الشباب الصالحون للفوز بواحدة من هذه الفتيات المجاهدات الصابرات.

وكما قال بعض أبناء هذه الثورة المباركة: ليس من هذه النسوة العفيفات من فقدت شرفها عندما انتهك عرضها، بل الصامتون هم الذين فقدوا شرفهم عندما حدث ذلك أمام أعينهم ولاذوا بالصمت.

لعن الله المجرمين ومن ناصرهم ومن أيدهم ومن سكت عنهم، عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. لقد دفع شعب سوريا ثمناً غالياً في سبيل حريته بعد نصف قرن في الأسر، ولا زال دون حريته طريق فيه دماء وأشلاء، لكن هذه الثورة لن تلين وهذه الأمة لن تستسلم ولو فنيت عن آخرها، رغم أنف المجرمين، ورغم أنف المنافقين، ورغم أنف الصامتين.

لقد تعلم أبناء هذه الثورة المباركة بعد عام من التضحيات أن ليس لنا إلا الله.. لم نعد نرجو عوناً من العالم الذي يتلاعب بدمائنا وألامنا ويعطي المجرمين المهلة تلو المهلة، لعلهم يكمّلوا ذبحنا ويرفعوا عن أدعياء الإنسانية هذا الحرج الذي يتکبدونه أمام عدسات الإعلام. لكن لا زال لنا أمل في هذه الأمة وما زلنا نستصرخها: وا إسلاماً.. لعل هذه الصرخة تلقي يوماً نخوة المعتصم.

لقد خلقنا الله أحراراً.. لنعيش أحراراً.. ولن يخذل الله مؤمناً يطلب الحرية.

المصدر: أرفلون نت

المصادر: